٤

مسائل عقدية متعلّقة بالبرزخ

د. مرفت بنت كامل بن عبد الله أسره

الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود
كلية التربية – قسم الدراسات الإسلامية

• حصلت على درجة الماجستير من كلية الدعوة – جامعة الإمام محمد بن سعود، وكانت أطروحتها بعنوان: (احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب)رحمه الله

• حصلت على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة – جامعة الإمام محمد بن سعود وكانت أطروحتها بعنوان: (وسطية أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى اللّه).

E : mosrah@ksu.edu.sa

الملخص

موضوع البحث: «مسائل عقدية متعلّقة بالبرزخ».

أهداف البحث: بيان منهج ومعتقد أهل السنة والجماعة في البرزخ، وتأصيله من خلال الأدلة الثابتة من الكتاب والسنة الصحيحة.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

أهم النتائج:

١- الإيمان بالبرزخ أحد أهم مسائل الإيمان باليوم الآخر، خامس أركان الإيمان الستة، التي يتعين على كل مسلم ومسلمة التصديق والإقرار بها وفق ما ورد في النصوص.

٢- المؤمن الكيس يجعل من إيمانه بالبرزخ انطلاقة جادة في الحياة للتزود بالأعمال الصالحة، التي يثاب عليها في البرزخ بالنعيم، ويحال بينه وبين العذاب فيه.

٣- حقيقة حياة البرزخ وما فيها من غيبيات تقصر عن إدراكها عقول البشر، التي لا تعي أكثر مما تصل إليه الحواس في الحياة الدنيا.

أبرز التوصيات:

١- الاهتمام بنشر البحوث العلمية المتعلقة بالبرزخ على أوسع نطاق؛ لكونه المستقبل الحقيقي لكل إنسان.

٢- الاقتصار في باب الترغيب والترهيب على النصوص الثابتة دون سواها وإن شاع وذاع، وعدم التوسع في الوصف والبيان؛ للحيلولة دون تجسيد ما يحدث في البرزخ من غيبيات على أرض الواقع.

٣- الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة، والشبكة العنكبوتية المعلوماتية، في نشر منهج أهل السنة والجماعة بالوقوف عند النصوص الدالة على مسائل الغيب عامة، وعلى حياة البرزخ خاصة.

الكلمات المفتاحية: المسائل العقدية – البرزخ – الموت – القبر.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] (١).

أما بعد:

فإن الإيمان بِالْبَرْزَخِ جزء لا يتجزأ عن الإيمان باليوم الآخر أحدِ أركان الإيمان الستة الواردة في السنة(٢).

(١) انظر: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١، ٣٩٢ - ٣٩٣)، وأخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: النكاح، باب: في خطبة النكاح (٢، ٢٣٨ - ٢٣٩) رقم (٢١١٨)، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود (٢، ٣٩٨ - ٣٩٩).

(٢) كما في حديث جبريل أن عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بداية الإيمان والإسلام والإحسان (١/ ٣٦ح ١).

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ومعرفة اعتقاد أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالحياة البرزخية هو ما حاولتُ جهدي جمعه وتأصيله من خلال بعض نصوص الكتاب والسنة والآثار الصحيحة وأقوال أهل العلم في هذا البحث، سائلة الله ﷻ أن يجعله علمًا نافعًا وعملاً مقبولاً.

أهمية الموضوع وسبب اختياره: انتشار معلومات غير مُؤصَّلة عَقدِيًّا في المجتمع عن البرزخ حملني مسؤولية البحث عن الحق والصواب في هذا الباب، وجمعه في بحث مختصر يُؤصَّل المعتقد الصحيح في جانب البرزخ.

حدود البحث: اقتصرتُ في تأصيل بحثي على بعض النصوص الشرعية من الكتاب، ومن السنة، والآثار الصحيحة دون غيرها مما لم يثبت إسناده.

هدف البحث: بيان منهج ومعتقد أهل السنة والجماعة في البرزخ، وتأصيله من خلال الأدلة الثابتة من الكتاب والسنة الصحيحة.

منهج البحث: استخدمت في البحث المنهجين الاستقرائي والتحليلي؛ لكونهما أنسب مناهج البحث العلمي لموضوع البحث.

إجراءات البحث: جمع عدد من الأدلة الشرعية، وكلام بعض أهل العلم في مباحث الدراسة، مع الربط والتحليل لها ما أمكن.

المنهج العلمي للبحث:

- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها في المصحف الشريف.
- اقتصرت على الأحاديث الثابتة عن الرسول ﷺ بالصحة أو الحسن.
- إذا كان الحديث مروي عند البخاري أو مسلم اكتفيت بالتخريج منه.
- دون ذلك من الأحاديث؛ قمت بتخريجه ونقلت حكم بعض أهل العلم عليه.
- تناولت المسائل العقدية من حيث دلالة النصوص عليها وليس مجرد اختلافات العلماء.

- استخدمت كلمة (انظر) أو (بتصرف) في الهامش عند النقل غير الحرفي من المراجع.

- استفتحت المراجع بالقرآن الكريم ثم سردت المراجع مرتبة حسب حروف المعجم.

خطة البحث: تتكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع وسبب اختياره، وحدود البحث، وهدفه، ومنهجه، وإجراءته، والمنهج العلمي للبحث، وخطة البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه التعريف بمفردات البحث.

المبحث الأول (الموت)، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: خروج الروح.

المطلب الثاني: أرواح الموتى.

المبحث الثاني: (القبر)، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: نعيم وعذاب القبر.

المطلب الثاني: ما ينفع الموتى في القبور.

الدراسات السابقة:

١) أحاديث حياة البرزخ في الكتب الستة: محمد بن حيدر بن مهدي بن حسن.

٢) الحياة البَرْزَخِيَّة: الدكتور عمر عبد الله كامل.

٣) الحياة البَرْزَخِيَّة وعذاب القبر: محمد متولي الشعراوي.

٤) الحياة البَرْزَخِيَّة: د. خالد بن عبد الرحمن الشايع.

٥) دراسات عقدية في الحياة البَرْزَخِيَّة: الشريف عبد الله بن علي الحازمي (ماجستير).

٦) الحياة البرزخية عند الطرق الإسلامية والمنتسبة للإسلام على ضوء عقيدة السلف: عبد الله سعيد العتيبي (ماجستير).

٧) الحياة البرزخية في الإسلام: حسين جابر موسى (ماجستير).

٨) حياة الأنبياء والأولياء البرزخية وأحكامها بين أهل السنة ومخالفيهم: وليد الفقيه (ماجستير).

٩) المباحث العقدية المتعلقة بالموت: قمر الدين دودو (ماجستير).

١٠) المباحث العقدية المتعلقة بحديث البراء المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم: طلال الظفيري (ماجستير).

١١) أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور: محمد مصطفى القضاه(ماجستير).

١٢) أحكام البرزخ دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة: عصام السيد (بحث).

١٣) فتنة القبر: عبيد العبيد (بحث).

وما أود أن أضيفه في بحثي هو تنقيح الاستدلالات المتعلقة بالبرزخ بحيث أقتصرُ فيها على الصحيح، أو الحسن، باختصار غير مخل ما أمكن، مع التركيز على أهم المسائل العقدية المتعلقة بالحياة البَرْزَخِيَّة.

التمهيد

التعريف بمفردات البحث:

المسألة في اللغة: سأل عن الشيء طلب معرفته[١].

وفي الاصطلاح: السُؤال الكلام الذي تطلب الإجابة عليه[٢].

العقيدة في اللغة: ما يدين الإنسان به[٣].

وفي الاصطلاح: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[٤].

المتعلّق في اللغة: علّق الشيء بالشيء نشب فيه[٥].

وفي الاصطلاح: المتعلّق بالشيء المستمسك به[٦].

البرزخ في اللغة: الحاجز بين الشيئين[٧].

البرزخ في الاصطلاح: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة[٨]، من وقت الموت إلى القيامة ومن مات دخله ومرحلة ما بين موت الإنسان وقيام الساعة وإن لم يدفن[٩]، والبرزخ: المقابر، لا هم في الدنيا ولاهم في الآخرة[١٠]، فهم مُقيمون إلى يوم يُبعثون[١١].

---

(١) القاموس عربي عربي، لمحمد اللحام وغيره (ص ٣٤٥) مادة (سأل).

(٢) معجم المصطلحات الإسلامية، للدكتور رجب عبد الجواد (ص ١٠٥٨) مادة (سؤال).

(٣) القاموس عربي-عربي، لمحمد اللحام (ص٢١٠) ماد (ع ق د).

(٤) القاموس الفقهي، لسعدي أبو جيب (ص ٢٥٦) مادة (عقد).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٣١٨) مادة (علق).

(٦) الرائد، لجبران مسعود (ص ٦٢٢) مادة (علق) بتصرف.

(٧) القاموس المحيط، للفيروز آبادي (١/ ٢٦٦)، فصل الباء باب الخاء.

(٨) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٨٨).

(٩) القاموس المحيط، للفيروز آبادي (١/ ٢٦٦).

(١٠) معجم ألفاظ العقيدة، لعبد الله فالح (ص٦٦).

(١١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٨٨).

المبحث الأول: الموت

الموت حق على كل نفس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:٥٧]. والإكثار من ذكر الموت منهج نبوي، قال ﷺ: «**أكثروا ذكر هادم اللذات**»(١). قال السندي رحمه الله: «والمراد الموت وهو هادم اللذات؛ إما لأن ذكره يزهد فيها، أو لأنه إذا جاء ما يبقى من لذائذ الدنيا شيء»(٢).

فتذكّرُ الموت يدفع المؤمن - ولابد - للتزود بالعمل الصالح؛ ليملأ صحيفته من الحسنات في يوم القيامة، ويبشر به في البرزخ أول منازل الآخرة.

المطلب الأول: خروج الروح:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤوسنا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ:

(١) أخرجه النَّسَائِيّ في سننه كتاب الجنائز باب كثرة ذكر الموت (٤/ ٤)، وصححه الأَلْبَانِيّ في صحيح الجامع (١/ ٢٦٤) حديث رقم (١٢١٠).

(٢) سنن النَّسَائِيّ (٤/ ٤) الحاشية.

فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٠] فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا». ثُمَّ

قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»(١).

هذا الحديث أصل في الإيمان بالموت والبرزخ، وكيفية انتقال الإنسان من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية ابتداء من قبض الروح والعروج بها إلى السماء، وانتهاء بدفنها في القبر وما فيه من عذاب ونعيم.

والموت إما أن يسبقه علامات وهو ما يسمى بالاحتضار، أي حضور الوفاة وَدُنُوِّ الأَجَلِ، وإما أن يأتي بغتة وهو موت الفجأة. قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩]. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجاءت – أيها الإنسان – سكرة الموت بالحق، أي: كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩]، أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فَلَا مَحِيدَ وَلَا مَنَاصَ، وَلَا فِكَاكَ وَلَا خَلَاصَ»(٢).

وقد ثبت في الصحيح أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ – أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ – فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٦) حديث رقم (١٦٧٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٧).

الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»[١].

ملَك الموت:

من الجزئيات المتعلقة بالموت اعتقاد أهل السنة والجماعة وإيمانهم بملك الموت الذي وكَّله الله ﷻ بقبض الأرواح؛ كما دلت عليه النصوص قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١]. إلا أن ملك الموت في الحقيقة ليس مصرحًا باسمه في الكتاب أو في السنة، وما ورد في بعض الآثار من أن اسمه عزرائيل فلا يصح، إنما هو من الآثار الإسرائيلية، والصواب تسميته بـ (مَلَكُ الْمَوْتِ) كما سماه الله ﷻ في كتابه العزيز وقوفًا عند النص[٢].

مسائل متعلقة بالاحتضار:

إذا طُويت صفحة العمر ودنا الأجل، وحضر ملك الموت لقبض الروح، وبدأت علامات الاحتضار كبرودة الأطراف، ورشح الجبين كما دل عليه قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الجَبِينِ»[٣]؛ فإنه يجب تلقين المحتضر كلمة التوحيد قال ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٤]. لعله أن يحسن له الختام، ويكون ممن بشر بقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٥].

وينبغي للمسلم إذا حضر أخوه المسلم وهو يحتضر؛ أن يحرص على تلقينه كلمة التوحيد لا إله إلا الله، امتثالًا لأمر النبي ﷺ وإحسانًا لهذا الشخص[٦]. والدليل

(١) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب سكرات الموت (٨/ ١٣٣).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٢)، ومعجم المناهي اللفظية، لبكر أبو زيد (ص٣٩٠)، ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عُثَيْمِين (٣/ ١٦١).
(٣) أخرجه النَّسَائِيّ في سننه كتاب الجنائز باب علامة موت المؤمن (٣/ ٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٣١) حديث رقم (٦٦٦٥).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه أول كتاب الجنائز باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (٢/ ٦٣١) حديث رقم (١).
(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجنائز باب في التلقين (٢/ ٤٨٦) حديث رقم (٣١١٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (٢/ ٦٠٢) حديث رقم (٢٦٧٣).
(٦) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/ ٥١١).

حديث أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «يَا خَالُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَقَالَ: أَخَالٌ أَمْ عَمٌّ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ خَالٌ»، قَالَ: فَخَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ» (١). وأما قراءة سورة (يس) عند المحتضر وتوجيهه نحو القبلة فهذه مسألة لم يصح فيها حديث (٢).

وإذا قضى المحتضر وأسلم الروح لبارئها يلزم من كان عنده إغماض عينه؛ لحديث أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» (٣).

علامة حسن الخاتمة:

من المسائل الاعتقادية المهمة؛ اعتقاد أهل السنة والجماعة أن لحسن الخاتمة علامةً بارزة تظهر على الميت، فيستبشر بها أهله ومحبوه، ألا وهي نطقه بالشهادة عند الموت (٤). كما دلَّ عليه حديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ﷺ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَى عُمَرُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ ثَقِيلًا. فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَبَا فُلَانٍ؟ لَعَلَّكَ سَاءَتْكَ إِمْرَةُ ابْنِ عَمِّكَ يَا أَبَا فُلَانٍ؟ قَالَ: لَا. إِلا أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا، مَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ إِلا الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، إِلا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ وَنَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لأَعْلَمُ مَا هِيَ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «تَعْلَمُ كَلِمَةً أَعْظَمَ مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ» قَالَ

(١) أخرجه أحمد في مسند (٣/ ١٥٤)، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، أحكام الجنائز (ص١١).
(٢) أحكام الجنائز، للألباني (ص١١).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا احتضر (٢/ ٦٣٤) ح رقم (٧).
(٤) راجع المسألة السابقة.

طَلْحَةُ: صَدَقْتَ هِيَ وَاللهِ هِيَ»[١].

المطلب الثاني: أرواح الموتى:

تلاقي أرواح الموتى بعد مفارقتهم الحياة الدنيا مسألة عقدية يكثر التساؤل عنها، وقد وردت بعض النصوص بحدوث التلاقي بينهم في السماء.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ: «قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم، وعرض أعمال الأحياء على الأموات»[٢]. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ»[٣].

الشاهد في الحديث قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟» فأرواح الموتى إذن تتلاقى، ويسأل بعضهم بعضًا عن الأحياء وأحوالهم التي تركوهم عليها في الحياة الدنيا. وورد في الأثر عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى مَوْتَاكُمْ،

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦١)، وصحح إسناده الألباني في أحكام الجنائز (ص ٣٤).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة (٢٤/ ٣٣١).
(٣) أخرجه النَّسَائِيّ في سننه كتاب الجنائز باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عن خروج نفسه (٤/ ٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٤٦) حديث رقم (٤٩٠).

فَيُسَرُّونَ وَيُسَاؤُونَ»[١].

سماع الأموات للأحياء:

وهذه مسألة عقدية مهمة جاءت النصوص الشرعية بالإجابة عنها ومن الأدلة عليها: حديث أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ – أَوِ المُنَافِقُ – فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»[٢].

وحديث ابْنَ عُمَرَ ﷺ أَخْبَرَهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ القَلِيبِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ»[٣].

وحديث أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ

(١) أخرجه نعيم بن حماد في زوائد الزهد والرقائق على كتاب الزهد لابن المبارك (٢/ ٤٢)، وقال الألباني: «وهذا إسناد رجاله ثقات». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ١/ ٦٠٧) حديث رقم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال (٢/ ١١٣).

(٣) المرجع السابق والموضع نفسه (٢/ ١٢٢).

وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ، قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا»[(١)].

ولم تقتصر النصوص على إثبات سماع الأموات مخاطبة الأحياء لهم وسماع قَرْعَ نِعَالِهِمْ، بل شملت أيضًا معرفة الأموات بزيارة الأحياء لهم، وبسلامهم عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ: والميت قد يعرف من يزوره، ولهذا كانت السنة أن يقال[(٢)] ما ورد في حديث سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ» - وَفِي رِوَايَةٍ -: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»[(٣)]. وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هَذَا الْخطاب بِمَنْزِلَة خطاب الْمَعْدُوم، وقد تواترت الْآثَار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له وُيستبشر به[(٤)].

كما أنه ثبت عن رسول الله ﷺ من حديث عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ، وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» [(٥)].

وفي الحديث عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: «حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازين باب قتل أبي جهل (٥/ ٩٧).
(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/ ٣٠٤).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٢/ ٦٧١)، حديث رقم (١٠٤).
(٤) انظر: الروح لابن القيم (١/ ١٦٨).
(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الوتر باب ما يقول الرجل إذا سلم (٢/ ١٧٥) حديث رقم (١٥١٠)، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند (١/ ٢٨٢) حديث رقم (١٣٣٧).

سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي»[(١)].

فَدلَّ عَلَى أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْتَأْنِسُ بِالْحَاضِرِينَ عِنْدَ قَبْرِهِ وَيُسَرُّ بهم[(٢)]، فضلًا عن كونه يسمع كلامهم وخطاهم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله (١/ ١١٢) حديث رقم (١٩٢).

(٢) انظر: الروح لابن القيم (١/ ١٨٥).

المبحث الثاني: القبر

الإيمان بفتنة القبر ونعيم وعذاب القبر، الذي يكون في حياة البرزخ؛ أحد أصول معتقد أهل السنة والجماعة في باب الإيمان بالغيب. وقد وردت الأدلة بذلك كما مر آنفًا في حديث البراء بن عازب[١]. قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة مُنكر وَنَكِير فكثيرة مُتواترة»[٢].

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تُحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادةً غير الإعادة المألوفة في الدنيا، فالروح لَهَا بِالْبدنِ خَمْسَة أَنْوَاع من التَّعَلُّق مُتَغَايِرَة الْأَحْكَام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته، وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبته، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعليق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا

(١) راجع المطلب الأول في المبحث الأول.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة (٤/ ٢٨٥).

فـ «النوم أخو الموت»[(١)]، فتأمل هذا؛ يُزِحْ عنك إشكالات كثيرة[(٢)].

المطلب الأول: نعيم وعذاب القبر:

مر آنفًا في حديث البراء بن عازب ﷺ وصف شيء من نعيم وعذاب القبر[(٣)].

وجاء من حديث عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[(٤)].

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته، كما حادت برسول الله ﷺ بغلته، وكادت تلقيه لما مرّ بمن يعذب في قبره. عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ. فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ:«تَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا:

(١) والحديث رواه جابر بن عبد الله ﷺ قال: سئل النبي ﷺ فقيل: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: «النوم أخو الموت، فأهل الجنة لا ينامون»، أخرجه الطَّبَرَانِيّ في المعجم الأوسط (١/ ٢٦٦) حديث رقم (٩١٩)، و(٦/ ٢٩٣) حديث رقم (٨٨١٦)، وصححه الألبانِيّ في صحيح الجامع (٢/ ١١٥١) حديث رقم (٦٨٠٨).

(٢) شرح عقيدة الطحاوي (ص٢٩٨)، وانظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام (٤/ ٢٧٤)، وسكب العبرات، للعفاني (٢/ ٥٩٤).

(٣) راجع المطلب الأول في المبحث الأول.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة، أو النار عليه ... (٤/ ٢٢٠٠) حديث رقم (٦٨).

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»[١].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ كُلُّهَا» فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[٢].

ومما يجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ليس من نار الدنيا ولا نعيمها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس[٣].

ومما ينبغي أن يعلم أيضًا أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع، أو أحرق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور[٤].

الأسباب الموجبة لعذاب القبر:

الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل: فإنهم يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب روحًا عرفته وأحبته، وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، ولابدنًا كانت فيه أبدًا.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة، أو النار عليه... (٤/ ٢١٩٩) حديث رقم (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب التعوذ من عذاب القبر (٨/ ٩٧).

(٣) شرح عقيدة الطحاوي لابن أبي العز (ص٣٠٠) بتصرف.

(٤) الروح، لابن القيم (١/ ٣٠١).

فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، ومصدق ومكذب.

وأما المفصل: فقد وردت النصوص عن النبي ﷺ بأن من موجبات عذاب القبر عدد من المعاصي لعل من أبرزها؛ النميمة، وعدم التَّسَتُّرِ وَالِاسْتِنْزَاهُ من الْبَوْل، وفيه تنبيه على التعذيب لما هو أشد منها[(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا، فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[(٢)]، وفي رواية: «لَا يَسْتَنْزِهُ عَنِ الْبَوْلِ»[(٣)]. قال ابن حجر رحمه الله: «ومعنى الِاسْتِتَار: أنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني: لا يتحفظ منه، فتوافق رواية لا يستنزه لأنها من التنزه وهو الإبعاد، وأما رواية الاستبراء فهي أبلغ في التوقي. قال ابن دقيق العيد: لو حمل الِاسْتِتَار على حقيقته للزم أن مجرد كشف العورة كان سبب العذاب المذكور، وسياق الحديث يدل على أن للبول بالنسبة إلى عذاب القبر خصوصية، يشير إلى ما صححه ابن خزيمة من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعاً: «إِنَّ أَكْثَرَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ»[(٤)] أي بسبب ترك التحرز منه» أ.هـ[(٥)].

وقال النووي رحمه الله: «وأما قول النبي ﷺ: «لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» فروي ثلاث

(١) الروح، لابن القيم (١/ ٣٤٠).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول (٢/ ١٢٤).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة باب الدليل على النجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه (١/ ٢٤٠) حديث رقم (١١١).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٦- ٣٨٨- ٣٨٩)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٣١١) حديث رقم (٢٨٠)، وصحيح الجامع (١/ ٢٦٢) حديث رقم (١٢٠٢).
(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/ ٣١٨)، بتصرف يسير.

روايات: يَسْتَتِرُ و يَسْتَنْزِهُ ويَسْتَبْرِئُ، وكلها صحيحة، ومعناها لا يتجنبه ويتحرز منه، والله أعلم» أ.هـ[١].

والمراد بتخصيص هذين الأمرين بالذكر تعظيم أمرهما، لا نفي الحكم عما عداهما، فعلى هذا لا يلزم من ذكرهما حصر عذاب القبر فيهما، لكن الظاهر من الاقتصار على ذكرهما أنهما أمكن في ذلك من غيرهما[٢].

كما جاءت الأدلة بأن النفاق من أكبر مسببات عذاب القبر؛ قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١]، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: «عذاب الدنيا، وعذاب القبر»[٣].

الأسباب المنجية من عذاب القبر:

وهذه الأسباب الوقائية من وجهين أيضًا؛ مجمل، ومفصل.

أما المُجْمل: فَهُوَ تجنب تِلْكَ الْأَسْبَاب الَّتِي تقتضى عَذَاب الْقَبْر، ومحاسبة النفس باستمرار، وتجديد التوبة النصوح منها، ومن غيرها من الذنوب.

وأما المفصل: فهو فعل عدد من الطاعات بدلالة النصوص[٤]، منها:

١- **الرباط في سبيل الله**: لحديث سَلْمَانَ رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ الله كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، إِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ، وَيُؤْمَنَ الْفَتَّانَ»[٥].

وقوله ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٢٠١) بتصرف يسير.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/ ٣١٨) بتصرف يسير.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٤).

(٤) انظر: الروح، لابن القيم (١/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله (٣/ ١٥٢٠) حديث رقم (١٦٣).

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ»[(١)]. الشاهد: «وأمن الفتّان»، «ويؤمَّن من فتّان القبر» أي أن هذا العمل -وهو الرباط في سبيل الله- سببٌ للنجاة من فتنة القبر.

٢- **الاستشهاد في سبيل الله**: قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]. وقال ﷺ: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ ﷻ سِتَّ خِصَالٍ : أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[(٢)]. وفي الحديث أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»[(٣)].

ومن ذلك الموت بداء البطن قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ، فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ»[(٤)].

٣- **الموت يوم أو ليلة الجمعة**. قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»[(٥)]، وهذا من توفيق الله للعبد المؤمن أن يقدر له الانتقال من الحياة الدنيا الفانية إلى الحياة البرزخية في يوم الجمعة أو ليلتها لينجيه من عذاب القبر.

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في فضل الرباط، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٧٤) حديث رقم (٢١٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع بلفظ: «للشهيد...» (٢/ ٩٢٠) حديث رقم (٥١٨٢).

(٣) أخرجه النَّسَائِيّ في سننه كتاب الجنائز باب الشهيد (٤/ ٩٩)، وصحح إسناده الألباني في أحكام الجنائز (ص ٣٦).

(٤) المرجع السابق والموضع نفسه، باب من قتله بطنه (٤/ ٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٢) حديث رقم (٦٤٦١).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن يموت يوم الجمعة. وحسنه الألباني بالموضع نفسه (١/ ٣١٢) حديث رقم (٨٥٨).

٤- **قراءة سورة الملك:** جاء في الأثر عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: «يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ فَتُؤْتَى رِجْلَاهُ فَتَقُولُ رِجْلَاهُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقُومُ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ أَوْ قَالَ بَطْنِهِ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى رَأْسُهُ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، قَالَ: فَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ سُورَةُ الْمُلْكِ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْنَبَ»[١].

وقد ثبت عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ [السَّجْدَة:١]، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلْكُ: ١]»[٢]، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

الأطفال وعذاب القبر:

ومن اللطائف في مسائل البرزخ مشروعية الدعاء للأطفال بِأَنْ يَقِيَهُمْ الله عَذَابَ القبر. كما ورد في الأثر عن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[٣]؛ مما يدل على أنهم يمتحنون في قبورهم، وإلا لما دعا له أبو هريرة ﷺ بأن يُعيذه الله من عذاب القبر.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة (الملك) (٢/ ٤٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٢) حديث رقم (١٤٧٥)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/ ١٣١) حديث رقم (١١٤٠)، وصححه بلفظ: «سورة الملك هي المانعة من عذاب القبر»، في صحيح الجامع (١/ ٦٨٠) حديث رقم (٣٦٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب ثواب القُرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٥٦) حديث رقم (٢٨٩١)، وصححه الألباني بالموضع نفسه.

(٣) إسناده صحيح كما ذكر الألباني في مشكاة المصابيح، كتاب الجنائز الفصل الثالث (١/ ٥٣١) حديث رقم (١) (٦٨٩)، وعزاه التبريزي لمالك، وقال الأَلْبَانِيّ بالموضع نفسه (هامش٢): إسناده صحيح. كما صحح إسناده عبد القادر الأرنؤوط في حاشية جامع الأصول للجزري (٦/ ٢٢٤) (هامش١).

ولكن ما المقصود بعذاب القبر هنا؟

يذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أن المراد بعذاب القبر ليس هو عقوبة الطفل على ترك طاعة أو فعل معصية قطعًا، فإن الله لا يعذب أحدًا بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب عقوبة غيره، وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله، ومنه قوله ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»[1]، أي يتألم بذلك ويتوجع منه، لا أنه يعاقب بذنب الحي، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤].

ولا ريب أن في القبر من الألم والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل فيتألم به، فيشرع للمصلي عليه أن يسأل الله تعالى له أن يقيَه ذلك العذاب[2].

نعيم وعذاب القبر يجريان على الروح و البدن:

وهذه مسألة اعتقادية مهمة؛ مذهب سلف الأمة وأئمتها فيها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين[3]. كما في حديث البراء بن عازب المتقدم «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ»[4].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المسألة فأجاب قائلاً: «بَلْ العذابُ والنَّعيمُ على النفسِ وَالبدنِ جَمِيعًا بِاتِّفاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، ، تنعمُ النفسُ وَتُعَذَّبُ مُنفرِدةً عَنْ الْبَدنِ وتُعذبُ مُتصلةً بِالبدنِ والبدنُ مُتَّصلٌ بِهَا فَيكُونُ النَّعيمُ والعذابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمعينَ كَمَا يكُونُ لِلرُّوحِ مُنفرِدةً عَنْ البدنِ»أ. هـ[5].

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب البكاء عند المريض (٢/ ١٠٦).
(٢) الروح، لابن القيم (١/ ٣٦٨) بتصرف.
(٣) المرجع السابق (١/ ١٨٣) بتصرف.
(٤) راجع المطلب الأول في المبحث الأول.
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة (٤/ ٢٨٢).

استمرار عذاب القبر:

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه فقال: باب ما جاء في عذاب القبر وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]، هو الهوان والهون، وقوله جل ذكره: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١]، وقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].

وأخرج رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)]. كما أخرج أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ حديث رسول الله ﷺ: « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٢)]. مما يدل على استمرارية عذاب القبر من البرزخ إلى يوم القيامة دار القرار.

إلا أن بعض النصوص تدل على انقطاع العذاب أو تخفيفه، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المتقدم وفيه: « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[(٣)]. لذا قسم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عذاب القبر إلى قسمين: نوع دائم، ونوع منقطع[(٤)].

ولعل من أهم أسباب انقطاع العذاب أو تخفيفه عن الميت انتفاعه باستغفار الأحياء له كما سيأتي في «المطلب الثاني: ما ينتفع به الموتى في القبور».

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (٢/ ١٢٤).

(٢) المرجع السابق، كتاب اللباس، باب من جره ثوبه خيلاء (٧/ ١٨٣).

(٣) راجع مسألة الأسباب الموجبة لعذاب القبر.

(٤) انظر: الروح، لابن القيم (١/ ٣٧٠).

التعوذ من عذاب القبر:

كان من هدي النبي ﷺ التعوذ من عذاب القبر كما مر آنفًا[(١)]، والشواهد على ذلك عديدة منها: حديث ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ: وَهُوَ «يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[(٢)]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « كانَ رسولُ الله ﷺ يدعُو: اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن عَذابِ القبرِ، ومِن عَذابِ النَّارِ، ومِن فِتْنَةِ المحيَا والمَماتِ، ومِن فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَّالِ»[(٣)]. وهذه الاستعاذة مما ينبغي لكل مسلم ومسلمة اعتماده في مدة الحياة من التوسل إلى الله بالنجاة منه، والابتهال إليه في الصرف عنه[(٤)]. وبذلك يحقق معاني العبودية والتوحيد التي يجني ثمارها في البرزخ قبل الدار الآخرة دار القرار.

المطلب الثاني: ما ينتفع به الموتى في القبور:

من المسائل المتعلقة بالحياة البرزخية؛ انتفاع الميت في قبره بأمرين:

الأول: ما يتسبب فيه الميت في حياته.

الثاني: دعاء المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة والحج عنه، وهو قول الجمهور[(٥)]. وقد وردت النصوص بذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]. فسر القرطبي رحمه الله هذه الآية بأنها: «عامَّةٌ فِي جَمِيعِ التَّابِعِينَ وَالْآتِينَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[(٦)].

---

(١) راجع أول هذا المطلب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (٢/ ١٢٤).

(٣) المرجع السابق والموضع نفسه.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العَسْقَلانِيّ (٣/ ٢٤١).

(٥) انظر: الروح، لابن القيم (٢/ ٤٣٥). وانظر: شرح عقيدة الطحاوي (ص٣٤٥)، وأحكام الجنائز للألباني (ص١٦٨).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/ ٣٢).

ومما يتسبب إليه الميت في حياته ما دل عليه قوله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»(١).

وقوله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا نَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»(٢).

وأعظم ما ينتفع به الميت الاستغفار له من الحي خاصة استغفار ولده له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»(٣).

وما يصل ثوابه للميت من عبادات على نوعين:

أولًا: عبادات واجبة: مما لا خلاف فيه بين أهل العلم وجوب أداء العبادات عن الميت من وليه إذا كان واجبًا عليه أداؤه لها قبل وفاته بنذر أو قضاء(٤) لحديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»(٥) . وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟، قَالَ: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟ «قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَاقْضُوا اللهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»(٦).

ثانيًا: عبادات نافلة: مسألة وصول ثواب الأعمال والعبادات للميت وإهدائه ثوابها؛ مسألة فصل فيها أهل العلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية باب مما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/ ١٢٥٥) حديث رقم (١٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة باب ثواب معلم الناس الخير (١/ ٤٦)، وحسنه الألباني في الموضع نفسه في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٦، وصحيح الجامع (١/ ٤٤٣) حديث رقم (٢٢٣١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣٤) حديث رقم (١٦١٧) وراجع (مسألة سماع الأموات للأحياء في المطلب الثاني بالمبحث الأول).

(٤) انظر بسط الكلام لهذا الموضوع في مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٩٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصيام، باب من مات وعليه صوم (٣/ ٤٥).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب من شبه أصلًا معلومًا بأصل مبين (٩/ ١٢٥).

أما الصدقة فقال عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس في الصدقة اختلاف»[١]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الصدقة عن الميت فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِهَا باتفاق المسلمين وقد وردت بذلك عن النبي ﷺ أحاديثٌ صحيحة»[٢]. منه حديث ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ المِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا»[٣]. والمقصود بالحَائِطِ: البُسْتان مِنَ النَّخِيلِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَائِط وهُو الجِدَار [٤]، والمِخْرَافَ: حائط نخْل يُخْرَف منه الرُّطَب [٥].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: «وكذلك ينفعه الحج عنه والأضحية عنه والعتق عنه والدعاء والاستغفار له بلا نزاع بين الأئمة. وأما الصيام عنه وصلاة التطوع عنه، وقراءة القرآن عنه، فهذا فيه قولان للعلماء:

أحدهما: ينتفع به، وهو مذهب أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وأبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرهما، وبعض أصحاب الشافعي، وغيرهم.

والثاني: لا تصل إليه، وهو المشهور في مذهب مالك رَحِمَهُ اللَّهُ والشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا الِاسْتِئْجَارُ لِنَفْسِ الْقِرَاءَةِ وَالْإِهْدَاءِ فَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ» أ. هـ[٦].

ومسألة إهداء ثواب قراءة القرآن للميت مسألة خلافية بين أهل العلم.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قراءة القرآن فالمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يصل ثوابها إلى الميت. وقال بعض أصحابه يصل ثوابها إلى الميت. وذهب جماعات

(١) صحيح مسلم، المقدمة (١/ ١٦).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإيلام ابن تيمية (٢٤/ ٣١٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الإشهاد في الوقف والصدقة (٤/ ١).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة (حوط) (١/ ٤٦٢).
(٥) المرجع السابق، مادة (خرف) (٢/ ٢٤).
(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/ ٣١٥).

من العلماء إلى أنه يصل إلى الميت ثواب جميع العبادات من الصلاة والصوم والقراءة وغير ذلك ...، وكل هذه المذاهب ضعيفة، ودليلهم القياس على الدعاء والصدقة والحج فإنها تصل بالإجماع» أ. هـ[١].

وهنا ضابط هام في هذه المسألة: وهو أن جواز إهداء بعض الأعمال والعبادات التي يتطوع بها الحي للميت لا يعني مشروعيته بندب أو استحباب؛ لعدم ثبوت ذلك عن السلف الصالح.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عمن يقرأ القرآن العظيم أو شيئًا منه هل الأفضل أن يهدي ثوابه لوالديه ولموتى المسلمين أو يجعل ثوابه خاصًّا لنفسه خاصة؟ فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفضل العبادات ما وافق هدي رسول الله ﷺ وهدي الصحابة ... قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كانَ مِنْكمْ مُسْتنًّا: فليَسْتَنَّ بمَنْ قدْ مَاتَ، فإنَّ الحيَّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الفِتْنَة.أُوْلئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ. فإذا عرف هذا الأصل فالأمر الذي كان معروفًا بين المسلمين في القرون المفضلة؛ أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة، فرضها ونفلها، من الصلاة، والصيام، والقراءة، والذكر، وغير ذلك وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات، كما أمر الله بذلك لأحيائهم، وأمواتهم، في صلاتهم، على الجنازة، وعند زيارة القبور، وغير ذلك. وروي عن طائفة من السلف عند كل ختمة دعوة مجابة، فإذا دعا الرجل عقيب الختم لنفسه ولوالديه ولمشائخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات، كان هذا من جنس المشروع وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل، وغير ذلك من مواطن الإجابة. وقد صح عن النبي ﷺ أنه أمر بالصدقة على الميت، وأمر أن يصام عنه الصوم، فالصدقة عن الموتى من الأعمال الصالحة، وكذلك ما جاءت به في الصوم عنهم، وبهذا وغيره احتج من قال من العلماء إنه يجوز إهداء ثواب العبادات المالية والبدنية إلى موتى المسلمين. كما هو مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك، والشافعي.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، المقدمة (١/ ٩٠) بتصرف يسير.

فإذا أهدي لميت ثواب صيام، أو صلاة، أو قراءة؛ جاز ذلك، وأكثر أصحاب مالك، والشافعي يقولون: إِنَّمَا يُشْرَعُ ذَلِكَ فِي الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ ومع هذا فلمْ يَكُنْ منْ عادةِ السَّلَفِ إذا صَلَّوْا تَطَوُّعًا وَصَامُوا وَحَجُّوا أَوْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ يَهْدُونَ ثواب ذلك لِمَوْتَاهُمْ المسلمين ولا لِخُصُوصِهِمْ بلْ كان عَادَتُهُمْ كما تقدم فلا ينْبغي للناس أنْ يَعْدِلُوا عنْ طريق السَّلَفِ فإنه أفضلُ وَأكملُ. والله أعلم». أ.هـ [١].

وبمثل هذا أجاب الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عندما سئل عن حكم إهداء القراءة للميت فقال: «الذي نرى أن هذا من الأمور الجائزة التي لا يندب إلى فعلها، وإنما يندب إلى الدعاء للميت والاستغفار له وما أشبه ذلك مما نسأل الله تعالى أن ينفعه به، وأما فعل العبادات وإهداؤها فهذا أقل ما فيه أن يكون جائزًا فقط، وليس من الأمور المندوبة، ولهذا لم يندب النبي ﷺ أمته إليه بل أرشدهم إلى الدعاء للميت، فيكون الدعاء أفضل من الإهداء» [٢].

وَمن الْأُمُور الْمُنكرَة الْمُلْحَقَةُ بهذا الباب ويجدر التحذير منها؛ ما يفعله البعض من قراءة سورة الفاتحة على روح الميت، وهذا الفعل بدعة محدثة لا أصل لها [٣].

والذي ترجحَ ليَّ في مسألة الاعتقاد بوصول ثواب أعمال الأحياء للأموات: هو الوقوف عند التطوع بالأعمال التي وردت بها النصوص من الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة. والله تعالى أعلم.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/ ٣٢١).
(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، لفهد السليمان رقم (٣٦١) (٢/ ٣٠٨).
(٣) راجع فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٦٦٣٩) فتاوى اللجنة الدائمة، للدويش (٩/ ٥٣).

الخاتمة

أحمد الله ﷻ حمدًا يليق بجلاله وبعظيم سلطانه أن يسر لي جمع وكتابة هذا البحث، والذي تناولت فيه أهم المسائل العقدية المتعلقة بالحياة البرزخية التي سينتقل إليها كل إنسان حي لا محالة بجزئيها: (الموت والقبر) وما يتعلق بهما من غيبيات، كما وردت بها النصوص الثابتة. وقد أسفر البحث عن التالي:

أهم النتائج:

١- الإيمان بالبرزخ أحد أهم مسائل الإيمان باليوم الآخر، خامس أركان الإيمان الستة، التي يتعين على كل مسلم ومسلمة التصديق والإقرار بها وفق ما ورد في النصوص.

٢- المؤمن الكيس يجعل من إيمانه بالبرزخ انطلاقة جادة في الحياة للتزود بالأعمال الصالحة، التي يثاب عليها في البرزخ بالنعيم، ويحال بينه وبين العذاب فيه.

٣- حقيقة حياة البرزخ وما فيها من غيبيات تقصر عن إدراكها عقول البشر، التي لا تعي أكثر مما تصل إليه الحواس في الحياة الدنيا.

وبناء على ما توصلت إليه من نتائج؛ أذيل بحثي هذا **بالتوصيات** التالية:

١- الاهتمام بنشر البحوث العلمية المتعلقة بالبرزخ على أوسع نطاق؛ لكونه المستقبل الحقيقي لكل إنسان.

٢- الاقتصار في باب الترغيب والترهيب على النصوص الثابتة دون سواها وإن شاع وذاع، وعدم التوسع في الوصف والبيان؛ للحيلولة دون تجسيد ما يحدث في البرزخ من غيبيات على أرض الواقع.

٣- الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة، والشبكة العنكبوتية المعلوماتية، في نشر منهج أهل السنة والجماعة بالوقوف عند النصوص الدالة على مسائل الغيب عامة، وعلى حياة البرزخ خاصة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- **أحكام الجنائز وبدعها:** الألباني، محمد ناصر الدين، (د. ط) بيروت - دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٢- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:** الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، بيروت-دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣- **التعريفات:** الجرجاني، علي محمد، ط١، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٤- **تفسير القُرآن الكريم:** ابن كثير، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، وعبد العزيز غنيم، (د.ط)، القاهرة، دار الشعب، (د.ت).

٥- **تلبيس إبليس:** ابن الجوزي، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).

٦- **جامع الأصول في أحاديث الرسول:** ابن الأثير الجزري، حقق نصوصه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، (د.ط)، (د.م)، مكتبة الحلواني -مطبعة الملاح- مكتبة دار البان، (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م).

٧- **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي، محمد بن أحمد ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٨- **خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه:** الألباني، محمد ناصر الدين، ط٤، دمشق- بيروت، المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ.

٩- **الرائد: معجم ألفبائي في اللغة والأعلام:** مسعود جبران، ط١، دار العلم للملايين، شباط/ فبراير ٢٠٠٣م.

١٠- **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء:** ابن قيم الجوزية، تحقيق د. بسام العموش، ط١، الرياض، دار ابن تَيْمِيَّة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، (د.ط)، بيروت- الكويت. مؤسسة الرسالة-مكتبة المنار الإسلامية (د.ت).

١٢- **الزهد والرقائق:** لابن المبارك، يليه «ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائدا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد»، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د.ط) بيروت، دار الكتب العلمية.

١٣- **سكب العبرات للموتى والقبر والسكرات:** العفاني، سيد بن حسين، ط١، الجيزة - جدة، مكتبة معاذ بن جبل- دار الكتب المصرية - دارماجد عسيري، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٤- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها:** الألباني محمد ناصر الدين، ط١ الكويت، الدار السلفية، مكتبة المعارف، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٥- **سنن النَّسَائِيّ بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي**، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م.

١٦- **شرح رياض الصالحين:** ابن عثيمين، محمد بن صالح، ط١١، الرياض، دار الوطن، ١٤٣٣هـ.

١٧- **شرح عقيدة الطحاوي:** ابن العز، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج الأَلْبَانِيّ محمد ناصر الدين، ط١، بيروت-دمشق-عمان، المكتب الإسلامي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٨- **صحيح البخاري:** الناشر: (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

١٩- **صحيح الجامع الصغير وزيادته:** الأَلْبَانِيّ، محمد ناصر الدين، ط٣، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٠- **صحيح سنن ابن ماجه:** الألباني، محمد ناصر الدين، ط٣، الرياض، المكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ -٩٨٨م.

٢١- **صحيح سنن أبي داود:** الأَلْبَانِيّ، محمد ناصر الدين، (د.ط) الرياض-بيروت، مكتب التربية العربي الخليج-الكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٢- **صحيح سنن الترمذي:** الأَلْبَانِيّ، محمد ناصر الدين، ط١، الرياض-بيروت، مكتب التربية العربي الخليج-الكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

٢٣- **صحيح سنن النَّسَائِيّ:** الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٤- **صحيح مسلم بشرح النووي:** (د.ط)، دار الفكر، (د.م)، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٥- **صحيح مسلم:** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠.

٢٦- **فتاوى العقيدة: أسئلة هامة ملحقة وأجوبة نافعة في العقيدة الصحيحة:** ابن عُثَيْمِين، محمد بن صالح، ط١، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٧- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** العَسْقَلانِيّ، ابن حجر، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح فهارسه محب الدين الخطيب، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، (د.ت).

٢٨- **القاموس الفقهي**: أبو جيب، سعدي، ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٩- **القاموس المحيط**: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (د.ط)، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، (د.ت).
٣٠- **القاموس عربي عربي**: اللحام، محمد هادي وسعيد محمد وعلوان زهير، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م
٣١- **لسان العرب**: ابن منظور، محمد بن مكرم، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.
٣٢- **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العُثَيْمين**: جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ط٢، الرياض، دار الثريا، توزيع مؤسسة الجريسي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣٣- **مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**: (د.ط)، بيروت، دار صادر، (د.ت).
٣٤- **مشكاة المصابيح**: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، بيروت-دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩-١٩٧٩.
٣٥- **المعجم الأوسط**: الطَّبَرَانِيّ، أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ط١، عمان، دار الفكر، ١٤٢٠هـ-٢٩٩٩م.
٣٦- **معجم ألفاظ العقيدة**: فالح أبي عبد الله عامر، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٧- **معجم المصطلحات في المصباح المنير**: الدكتور إبراهيم رجب عبد الجواد، (د.ط)، دار الآفاق العربية، (د.م)، (د.ت).
٣٨- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**: ترتيب وتنظيم أ. ي. ونسنك، (د.ط)، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٥٥م.
٣٩- **المعجم المفهرس لألفاظ القُرآن الكريم**: عبد الباقي، محمد فؤاد، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٤٠- **معجم المناهي اللفظية**: أبو زيد، بكر بن عبد الله، ط٣، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٤١- **المعجم**: محمد غريد الشيخ، ط١، بيروت، مؤسسة النخبة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٤٢- **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير، محمد الجزري، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٢١٢
المقدمة	٢١٣
التمهيد	٢١٧
المبحث الأول: الموت	٢١٨
المطلب الأول: خروج الروح	٢١٨
المطلب الثاني: أرواح الموتى	٢٢٣
المبحث الثاني: القبر	٢٢٧
المطلب الأول: نعيم وعذاب القبر	٢٢٨
المطلب الثاني: ما ينتفع به الموتى في القبور	٢٣٦
الخاتمة	٢٤١
فهرس المصادر والمراجع	٢٤٢
فهرس الموضوعات	٢٤٥